نظرات حول العمل وقضاياه

في ضوء الإسلام

تأليـــف

الدكتور/ أحمد محمد أحمد الشرنوبي

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين القاهرة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد فإن الإسلام دين تتفاعل فيه العقائد والشرائع والتوجيهات الأخلاقية ، وتتصل فيه الدنيا بالآخرة ، وترتبط من خلال امتثال مبادئه وتعليماته مصلحة المسلم فى الدنيا بمصلحته فى الآخرة ، لذلك فإن مفهوم العمل الصالح فى الإسلام مرتبط بمفهوم العبادة ، فدائرة العمل الصالح واسعة ، فكل عمل يؤدي إلى مرضات الله ويجلب النفع للبشرية فهو عمل صالح يقدره الإسلام ويرحب به .

ولعل هذا الموضوع المتصل بالعمل وقضاياه في الإسلام ليكتسب أهمية قصوى خصوصاً في هذا العصر الحالي الذي سبقتنا فيه أمم أخرى بخير إسلامية محققة تقدماً مدنياً وازدهاراً حضارياً ليس للمسلمين اليوم في المشاركة في صنعه نصيب .

إن مفهوم العمل فى الإسلام قد أحاطت به في ظل المتغيرات المعاصرة كثير من الحجب التي أدت إلى عدم وضوح الرؤية فيما يتصل بقضايا العمل فى المنظور الإسلامي ، وقد أثمر غياب الفهم الصحيح للعمل وقضاياه لدى كثير من المسلمين سلبيات خطيرة ، كان من أهم مظاهرها: الإهمال في العمل ، وتردي مستوى أداء العامل ، وتفشي صور الفساد الإداري في كثير من مؤسسات الأمة ، وبالإضافة إلى هذا فإن العمل في هذا العصر الحاضر الذي تعيشه الأمة قد حُرم دفع ومساندة الأخلاق والقيم الإسلامية ، وتجرد من طابعه الإسلامي ، ففقد بذلك العامل الذي يصلح الخلل ، ويستدرك القصور ، وينطلق نحو الكمال، ويجعل من العمل قوة تحقق للأمة التفوق والتقدم والازدهار .

ومن ثم تبدو الحاجة ماسة إلى طرح هذا الموضوع ومناقشة قضاياه مناقشة تزيل اللبس الحاصل في فهمه من قبل جمهور المسلمين ، وتكشف وجه الحق في تلك القضية التي يترتب على فهمها الصحيح والعمل وفق هذا الفهم تقدم الأمة ونهضتها في شتى مناحي الحياة .

على أن هذه الموضوع لم ينل ما يستحق من الاهتمام والعناية لا من قبل العلماء والدعاة المسلمين ، ولا من قبل الهيئات والمؤسسات الإسلامية ، كما لم

يُكتب حوله من المؤلفات والكتب ما يتناسب مع أهميته وخطورته .

وقد ناقشت هذه الدراسة المتواضعة هذا الموضوع من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العمل .

وفيه أربع نقاط:

١. مفهوم العمل .

٢. أهمية العمل .

٣. دور العمل في تقدم الأمة ونهضتها .

٤. ضوابط العمل في الإسلام .

المبحث الثاني: جهة العمل .

وقد تناول ما تلتزم به جهة العمل حيال العامل ، على النحو التالي:

١. حسن اختيار الشخص المناسب للعمل .

٢. تنمية الوعي الديني والمهني لدى العامل .

٣. الحساب والمساءلة .

٤. تناسب الأجر مع العمل .

٥. الكفالة والرعاية للعامل .

٦. الرحمة بالعامل والرفق به .

المبحث الثالث: العامل .

وتناول قضية إتقان العامل لعمله ، وأنه يلزم لهذا أن يراعي العامل الاتصاف بالأخلاق الآتية:

١. الأمانة .

٢. الإخلاص .

٣. الصبر .

٤. الإحسان .

وبعد فقد حاولت من خلال هذا العمل المتواضع إثراء الدراسات المتعلقة بهذه القضية الهامة في الإسلام ، آملاً أن ينفع الله تعالى به ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

د / أحمد محمد أحمد الشرنوبي

المبحث الأول
العمل

١. مفهوم العمل في الإسلام:

اقتضت حكمت الله تعالى أن تكون الآخرة دار الثواب والعقاب ، وأن تكون الدنيا دار العمل والاكتساب ، والسعي والنشاط ، وليس العمل في الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة للآخرة ومدرجة إليها، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[١].

وإذا كان البعض قد عرف العمل بأنه: (كل نشاط إنساني يهدف إلى إنتاج أو تحويل أو توصيل شئ لإنسان آخر في النهاية ، ويقتضي بذل قدر من الجهد العضلي أو الذهني أو العصبي)[٢] فإن مفهوم العمل في الإسلام يتخذ أبعاداً أوسع وأشمل تجعل له خصوصيته التي تميزه عن غيره ، وإذا حاولنا التعرف على مفهوم العمل لدى المذهب السائد في الفكر الحديث سنجد أنه يحصر العمل في النطاق الاقتصادي أو العمالي أو الأجري أو النقابي ، بينما المفهوم الإسلامي للعمل إنما يعطي كل من يعمل عملاً صالحاً سواء كان موظفاً أو طالباً أو حرفياً أو تعاونياً أو ربة بيت أو متطوعاً لعمل خيري ، فكل هولاء يعدون عمالاً يدخل عملهم في إطار العمل الإسلامي الذي يرصد له الإسلام أعظم الأجر في الأولى والآخرة .

ومن ثم فالعمل الصالح في الإسلام ليس هو المرتبط بالآخرة فقط بل والمرتبط بالدنيا أيضاً ، فالصلاة والصيام والزكاة وذكر الله عمل صالح ، وكذلك الوظائف المختلفة في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة وغيرها عمل صالح ، وكلمة (صالح) و(الصالحات) ومشتقاتها من الألفاظ التي أفاض القرآن في تناولها في مواضع عديدة ، منها على سبيل المثال قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٩٧} ﴾[٣].

---

[١]) القصص: ٧٧ .

[٢])د. عبد القادر الشيخلي: أخلاقيات الوظيفة العامة ص ٥٠ دار مجدلاوي للنشر ، عمان – الأردن ، ط/ أولى ١٤٢٢٠هـ – ١٩٩٩م .

[٣])سورة النحل: ٩٧ .

والآية الكريمة تشير هنا إلى أن العمل الصالح إذا اقترن بالإيمان الصادق كانت النتيجة حياة طيبة كريمة في الدنيا وأجراً عظيماً وافراً في الآخرة ، ومن خلال مفهوم المخالفة نلحظ هنا أن المجتمع إذا فقد العمل الصالح بشقيه الدنيوي والأخروي فقد معه أمنه وسعادته وحياته الكريمة ، كما أن الله تعالى لا يحرم الساعي في عمل الصالحات بل وعد بكتابة ذلك السعي وإثباته في صحيفة عمله ، وإثابة صاحبه عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ {٩٤}﴾[1].

كما أخبر الحق سبحانه بأن المؤمنين الذين يتقربون إلى الله تعالى بالعمل الصالح يحبهم ويحببهم إلى خلقه ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا {٩٦}﴾[2]، وقد بيّن الله عز وجل كذلك أن خير الناس هم أولئك الذين صحّ إيمانهم ، ودل عملهم الصالح على صدق هذا الإيمان وسلامته ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ {٧}﴾[3] وهؤلاء الذين صدق إيمانهم وأخلصوا في أعمالهم الصالحة لله عز وجل ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ {٨}﴾[4].

وبالنظر في معاجم اللغة بحثاً عن معنى الصلاح ومشتقاته نجد الآتي:

صلح الشئ : زال عنه الفساد ، وصلح الشئ كان في عمله وأمره أتى بما هو صالح ونافع، وأصلح الشئ: أزال فساده ، وأصلح بينهما أو ذات بينهما: أزال ما بينهما من عداوة وشقاق. وصالحه مصالحة وصلاحاً (بكسر الصاد): سالمه وصافاه ، ويقال: صالحه على الشئ: سلك معه مسلك المسالمة في الاتفاق .

والصالح: المستقيم المؤدي لواجباته ، والصلاح: الاستقامة ، والصلاح: السلامة من العيب، والصلاحية للعمل: حسن التهيؤ له[5].

---

[1])سورة الأنبياء: ٩٤ .

[2])سورة مريم: ٩٦ .

[3])سورة البينة: ٧ .

[4])سورة البينة: ٨ .

[5])المعجم الوسيط : ١ / ٥٢٠ مجمع اللغة العربية – دار الأمواج – بيروت ط/ ثانية ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

وهذا المعنى اللغوي للكلمة ومشتقاتها يتفق مع المعنى القرآني للكلمة إذ يستخدمها القرآن الكريم في مقابل الفساد ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ {١١} أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ{١٢}﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾[3].

ومن ثم يتضح أن معنى "الصالح" و"الصالحات" لا يقتصر على الشعائر التعبدية فحسب ، بل على العمل النافع بإطلاق ، كما أن الرجل الصالح ليس هو العابد المتجه بفكره وعمله نحو الآخرة فقط بل أيضاً النافع لنفسه وأهله وأمته البعيد عن مظاهر الفساد وأسباب الإضرار.

وإذا كان العمل الصالح في الإسلام لا يقبل إلا بنية خالصة ، فإن هذه النية لابد من توافرها في العمل سواء كان هذا العمل متصلا بالآخرة أم بالدنيا ، وهذا ما يميز العمل الذي يثاب عليه صاحبه والذي يُعتد به في الإسلام عن غيره ، والأساس في ذلك ما أشار إليه الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .. الخ الحديث"[4].

إن النية في العمل إنما تجعل العامل يهدف إلى تحقيق رضا الله تعالى أولاً من خلال عمله ، فيصبح عمله عبادة يُثاب عليها أعظم الثواب ، ثم هو يهدف ثانياً إلى المساهمة في تقدم الأمة وازدهار حضارتها من خلال هذا العمل ، وقبل ذلك وبعده فهو يعمل ليحصل على أجر يكفي به نفسه ومن يعول حاجاتهم المادية، ويكفهم عن ذل الاحتياج .

ومن ثم يصبح العمل عبادة من أشرف العبادات التي يتقرب بها العامل إلى ربه ، فيحوز السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة ، فلا يقصد بالعبادة هنا مجرد الاقتصار على الشعائر التعبدية من صلاة وزكاة وصيام وذكر ، فهذه لا تستغرق من وقت الإنسان إلا ساعة من ليل أو

---

[1])سورة البقرة: ١١ ، ١٢ .

[2])سورة النمل: ٤٨ .

[3])سورة الأعراف: ١٤٢ .

[4])صحيح البخاري ١ / ٢ كتاب بدء الوحي ، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، طبع دار الجيل – بيروت .

نهار ، ومن ثم فالمقصود بها كل عمل نافع يقوم به الإنسان يبتغي به وجه الله تعالى، يسعى في مناكب الأرض يتعلم ويعلم ويبني ويعمر وينشئ ويشيد ويكتشف نواميس الكون ، واصلاً أسبابه في كل هذا بالله تعالى ربه ومولاه .

وعليه فالعمل في الإسلام ليس مجرد وسيلة لاكتساب الرزق ، بل إن له مدلولاً أوسع ، ومعنى أشمل ، فهو فوق ذلك عبادة يدرك المسلم من خلالها عظيم الأجر من الله تعالى ، ويسد بما يؤديه من عمل ثغرة للمسلمين ، ويساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية لأمته .

على أن تقوقع الوعي الإسلامي في فهمه للعمل في إطار العبادة وتخليه عن مجال العمل ليمثل انحرافاً في فهم طبيعة الدين وقصوراً في فهم مدلول العمل في الإسلام ، ولقد ساهم هذا الفهم فيما تعانيه الأمة اليوم من تأخر وضعف أصاب اقتصاد الأمة ، وأثمر جيوشاً من الفقراء والمرضى والمعوزين لا يكادون يجدون ما يسد رمقهم أو يشفي أمراضهم أو ينهي معاناتهم

٢. أهمية العمل:

فتح الإسلام أبواب الحياة الكريمة لأبنائه فحثهم على العمل والحركة والنشاط ،وجعل ذلك عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه ومولاه وقد دعا الحق سبحانه وتعالى الناس إلى العمل والسعي في الأرض وطلب الرزق قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ {١٥}﴾[١].

كما أمر سبحانه بعد الفراغ من الصلاة بالانتشار في الأرض وابتغاء فضل الله ، فقال تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {١٠}﴾[٢] وإذا كانت الصلاة عبادة والعمل عبادة فينبغي أن نوازن بين أنواع العبادات بحيث لا تضيع عبادة بعبادة أو تلهي عبادة عن عبادة .

كما روى أبو سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب المؤمن المحترف"[٣] أي الذي له مهنة وعمل ، كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه

---

[١])سورة الملك : ١٥ .

[٢])سورة الجمعة : ١٠ .

[٣])رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٥٧ كتاب البيوع ، باب الكسب والتجارة ، ونسبه إلى الطبراني في الكبير والأوسط ، قال: وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف .

وسلم قال: "من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له"[١].

بل لقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن العمل يكفر ذنوباً لا تكفرها بعض العبادات الشعائرية المعروفة (كالصلاة والصيام) فقال صلى الله عليه وسلم: "إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة" ، قالوا: فما يكفرها يا رسول الله؟ قال : "الهموم في طلب المعيشة"[٢].

ولا يقتصر الأمر عند اعتبار الإسلام العمل عبادة لها قيمتها في الإسلام كما أن لها أجرَها العظيمَ عند الله في الدنيا والآخرة ، بل الإسلام يرى العمل لوناً من ألوان الجهاد في سبيل الله ، فالذي يلتزم حدود الله تعالى في وظيفته ، ويأنف من خيانة الواجب الذي طُوقه فهو عند الله من المجاهدين لنصرة دينه وإعلاء كلمته ، قال صلى الله عليه وسلم: "العامل إذا استُعمل فأخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته"[٣].

كما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة قد بكر يسعى فقالوا: يا رسول الله! لو كان هذا في سبيل الله؟..فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن كان خرج يسعى على وُلده صغاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه ليعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان" [٤].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي جاءه يستأذنه في الجهاد :

---

[١])رواه الطبراني في الوسط ، انظر: الترغيب والترهيب ٢/ ٣٣٥. قال الهيثمي: فيه جماعة لم أعرفهم. مجمع الزوائد للهيثمي علي بن أبي بكر ٤/ ٦٣ دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ .

[٢])رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ٣٨ حديث رقم (١٠٢) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/٣٣٥ . قال الهيثمي: وفيه محمد بن سلام المصري قال الذهبي: حدث عن يحيى بن بكير بخبر موضوع . قلت: وهذا فيما رواه عن يحيى بن بكير. مجمع الزوائد ٤/ ٥٩ .

[٣])رواه الطبراني في الكبير ، وفيه دويب بن عمامة ، قال الذهبي: ضعفه الدارقطني وغيره. انظر: مجمع الزوائد ٣/ ٨٤ .

[٤])رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ٤/ ٣٢٥ .

"أحي والداك؟" قال: نعم. قال: "ففيهما فجاهد" [١].

كما روي عن عمر بن الخطاب قوله: "لأن أموت بين شعبتي رحلي أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله أحب إلي من أن أقتل مجاهداً في سبيل الله ، لأن الله تعالى قدم الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضله على المجاهدين بقوله تعالى: (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) [٢].

وبالنظر إلى كلمة (جهاد) نجد أن معناها أعم من كلمة (قتال) ، فكل قتال يمكن أن يكون جهاداً ، وليس كل جهاد يمكن أن يكون قتالاً ، فكلمة جهاد أعم ، وهي تشمل الجهاد بالنفس أو بالمال أو بالعمل أو بالسلاح أو بغير ذلك من الوسائل .

ومن جهة أخرى فإن العمل وسيلة لتحصيل المال الذي يعد إنفاقه جهاداً في سبيل الله ، وإلى ذلك الإشارة بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ [٣]، ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {٨٨}﴾ [٤] ولا يخفى ما في تقديم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس من دلالة على أهمية هذا النوع من الجهاد وعظيم ثمرته في المجتمع .

وبالإضافة إلى ما سبق فإن العمل وسيلة للكسب الذي لولاه ما قام الجهاد في سبيل الله ، لأن المال عصب القتال ، ومن ثم جاءت أهمية الإعداد الاقتصادي وضرورته في تمويل الحروب وخاصة في العصر الحاضر ، إذ المال هو الوقود الحقيقي للحروب حيث تصمد الدولة في القتال ما قويت على تمويل حربها .

ولما كان للعمل هذه القيمة العظيمة فقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم عن أنبيائه وأصفيائه ورسله أنهم كانوا يحترفون ويأخذون بالأسباب مع عظم شأنهم وعلو مكانتهم وانشغالهم بالدعوة إلى الله تعالى ، كل ذلك لم يمنعهم من

---

[١])رواه البخارى ٤ / ٧١ . كتاب الجهاد والسير ، باب الجهاد بإذن الأبوين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. ورواه مسلم ٤/ ١٩٧٥ كتاب البر والصلة والآداب. باب بر الوالدين وأنهما أحق به .

[٢]) سورة المزمل: ٢٠ ، وانظر: الاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود مودود الموصلي ٤/١٧٢.

[٣]) سورة الأنفال: ٧٢ .

[٤]) سورة التوبة: ٨٨ .

السعي في طلب الرزق امتثالاً لأمر الله ، وليضربوا المثل الأعلى لبني البشر كافة ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [١] قال الإمام القرطبي: "أي يبتغون المعايش في الدنيا .. وهذه الآية أصل في تناول الأسباب وطلب المعايش بالتجارة والصناعة وغير ذلك" [٢].

وأول من احترف العمل أبونا آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [٣] قال الإمام ابن كثير: "أي إياك أن تسعى في إخراجك منها فتتعب وتعني : وتشقى في طلب رزقك" [٤] وكذلك بقية المرسلين من بعده ، قال صاحب كتاب الكسب: "وكذا نوح عليه السلام كان نجاراً ، وإدريس عليه السلام كان خياطاً ، وسليمان عليه السلام كان يصنع المكاتل من الخوص" [٥] ، كما كان داود عليه السلام يصنع الدروع الحربية ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ {١٠} أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [٦] وقد قال صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده" [٧].

كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل منذ الصبا ليكسب القوت الذي يسد الرمق ويعصمه من أن يكون كلاً على غيره ، فقد عمل صلى الله عليه وسلم في أول حياته أجيراً يرعى الغنم بين جبال مكة وأوديتها ، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم" فقالوا: وأنت؟ فقال: "نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة" [٨].

واحترف التجارة عندما عرضت عليه السيدة خديجة أن يتجر لها في مالها حتى يسر الله له أسباب الخير ، وفتح له

---

[١]) سورة الفرقان: ٢٠ .

[٢])الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ١٣ / ١٤١٢ .

[٣])سورة طه :١١٧ .

[٤]) تفسير بن كثير ٢ /٤٩٥، ٤٩٦ دار زهران – القاهرة بون تاريخ .

[٥])انظر كتاب الكسب للامام محمد بن الحسن الشيباني ص٧٦ .

[٦])سورة سبأ: ١٠، ١١ .

[٧]) البخاري ٣/ ٧٤ كتاب البيوع. باب كسب الرجل وعمله بيده .من حديث المقداد ري الله عنه.

[٨]) البخاري ٣/ ١١٦ كتاب الإجارة. باب رعي الغنم على قراريط. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أبواب الرزق ، وهكذا كان دأب الصحابة رضوان الله عليهم فقد ذكر ابن قتيبه في كتاب (المعارف) قال: "كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والعاص بن هشام من أصحاب الحرف"[1] مما يدلل على رغبتهم في العمل وتحصيل القوت الذي يعينهم على أداء واجبهم نحو خالقهم ونحو مجتمعهم على الوجه الأكمل .

وقد حذر الإسلام المسلم من التبطل واللجوء إلى التسول والاستجداء فقد بالغ النبي في النهي عن المسألة حتى شبهها تشبيهاً مروعاً حقيق بأن يكف صاحبها عنها إلى الأبد فقال صلى الله عليه وسلم : "ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزعة لحم"[2] ومعنى مزعة لحم: أي قطعة. قال القاضي: قيل معناه يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطاً لا وجه له عند الله. وقيل: هو على ظاهره ، فيحشر وجهه عظم لا لحم فيه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه[3].

وقد روى أن رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه من الصدقة فقلب فيهما النظر فرآهما جلدين فقال: "إن شئتما أعطيتكما ولاحظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب"[4].

قال الصنعاني: والحديث من أدلة تحريم الصدقة على الغني وعلى القوي المكتسب لأن حرفته صيرته في حكم الغني[5].

وتروي كتب السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى درساً عملياً لسائل حوله من سؤال الناس إلى مشاركتهم في العمل والحصول على رزقه من كسبه ، فقد روي عن أنس ابن مالك رضي الله

---

[1])الحث على الصناعة والتجارة والعمل للخلال: ص ٩٤ .

[2]) رواه البخاري ٢/ ١٥٣كتاب الزكاة. باب من سأل الناس تكثراً. من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ومسلم ٢/ ٧٢٠ كتاب الزكاة. باب كراهة المسألة للناس .

[3])انظر: صحيح مسلم ج ٢ حاشية ص ٧٢٠ .

[4]) سنن أبي داود ٢/ ١١٨ حديث رقم (١٦٣٣) كتاب الزكاة. باب من يعطي الصدقة وحد الغنى. ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ١٤ كتاب قسم الصدقات. باب من طلب الصدقة بالمسكنة أو الفقر. مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .

[5])سبل السلام للصنعاني ٢/ ١٤٦ دار إحياء التراث العربي – بيروت ط/ رابعة ١٣٧٩ هـ .

عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله ، فقال له: "أما في بيتك شيء؟". قال بلى ، حلس[1] نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقَعب نشرب فيه من الماء ، فقال: "ائتني بهما" ، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال: "من يشتري هذين" قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال "من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثا ، قال رجل: أنا أخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال: "اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك واشتر بالأخر قدوماً فأتني به ، فأتاه به ، فشد رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ، ثم قال له: "اذهب واحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوماً." فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع ، أو لذي غُرم مفظع، أو لذي رحم موجع"[2].

إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كره لهذا الأنصاري على الرغم من حاجته الظاهرة أن يسأل ويطلب الصدقات ما دام هناك سبيل للحصول على ما يسد الحاجة بعرق الجبين والسعي، فإن ذلك إلى جانب أنه أكرم للإنسان جدير بأن يحوله إلى كائن فاعل في المجتمع، فالإسلام يمقت التسول ويأبى للإنسان القادر على الكسب أن يعيش على دريهمات تلقى إليه من بعض المحسنين .

ومن ثم فإن الأولى تحويل المتسول إذا كان قادراً على السعي والكسب من سائل إلى عامل تعود ثمرة عمله وسعيه بالخير عليه وعلى مجتمعه ، فيتجه من السلبية إلى الإيجابية ويتحول من عاطل إلى عامل ومن مستهلك إلى منتج ومن آخذ إلى معطي ، وروى البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: "والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف

---

[1])الحلس بكسر الحاء : كل ما ولي ظهر الدابة تحت الرجل والقتب والسرج ، وما يبسط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع، وجمعه أحلاس وحلوس . لسان العرب مادة: حلس .

[2])سنن أبي داود حديث رقم (١٦٤١) كتاب الزكاة. باب ما تجوز فيه المسألة. ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٢٥ كتاب قسم الصدقات. باب لا وقت فيما يعطى الفقراء والمساكين .. إلخ والحديث ضعفه الألباني .

الله بما وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"[1].

كما أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سأل الناس أموالهم تكثراً ، فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر"[2].

وهذه النصوص النبوية تمنع المسلم من أن يعيش عالة على غيره ، وتدعوه إلى أن يعيش كريم النفس لا يريق ماء وجهه، ولا يخلد إلى البطالة والكسل فيضر نفسه وأمته ، ولا شك أنه إن تحرك باحثاً عن ميدان للعمل يكفيه ذل السؤال ويكفي أهله ذل الحاجة ، فإنه سيجد إن توفرت لديه الجدية في السعي ، وحسن التوكل على الله تعالى ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً"[3].

---

[1])البخاري ٢/ ١٥٢ كتاب الزكاة. باب الاستعفاف عن المسألة. من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه .

[2])مسلم ٢/ ٧٢٠ كتاب الزكاة. باب كراهة المسألة للناس. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[3])رواه الترمذي: حديث رقم (٢٢٦٦). كتاب الزهد. باب التوكل على الله. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .

فقوله صلى الله عليه وسلم : "تغدو "معناه أنها تخرج صباحاً وهي جائعة إلى أماكن الرزق فتسعى إليه ثم تعود شباعاً بعد أن تمارس العمل اللازم للحصول على ما تحتاج من غذاء ، فالطير لم تترقب وهي في أعشاشها نزول الحب في أفواهها المفتوحة ، وإنما تغدو وتروح لتلتقط الحب من هنا وهناك ، وتقضي يوماً في جهاد مضن حتى تعود أخر النهار وقد ملئت أحشاؤها من رزق الله الذي هداها إليه بعد سعيها ونشاطها وبحثها .

ولا شك أن من مظاهر الخلل في شخصية المسلم التي تجعله ناقص الإيمان ، ذلك الفهم الأعوج لقضية التوكل ، وأنه يتمثل في دعاء بالرزق غير مشفوع بحركة في الاتجاه الصحيح باحثة عن مصادر الرزق وتحصيله من مظانه بالعمل الجاد المتقن الذي ينتفع به الشخص العامل وأهله ومجتمعه ، ومن ثم استحق هؤلاء أن تهوي عليهم درة عمر عسى أن تعيد إليهم الفهم الصحيح لهذه القضية المغلوطة.

وتروي كتب السنة أن الصحابة رضي الله عنهم أثنوا يوماً على رجل ، فقالوا يا رسول الله! إن فلاناً يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر ، فقال صلى

الله عليه وسلم: "أيكم يكفيه طعامه وشرابه؟ فقالوا : كلنا يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم:"كلكم خير منه"[1].

فكثرة الذكر مع صيام النهار وقيام الليل لا تجدي نفعاً مع رجل يعيش عالة على الآخرين، وفي هذا ما يدل على فضيلة العمل وكسب المال من وجوهه المشروعة ، والاستغناء به عما في أيدي الناس ، وبهذا تتكامل شخصية المسلم العامل العابد ، تلك الشخصية التي تحوذ الخير والفضل وتستحق رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ومما يعد كذلك من سوء الفهم لما يتصل بالإسلام وقضاياه تصور البعض أن الإسلام يحب الفقر ويرغب فيه ، والواقع أن الإسلام يكره الفقر ولا يدعو إليه ولا يرغب فيه ، بل يذمه ويجعله قرين الكفر لأثره الكبير على الفرد وعلى المجتمع ، روي عن حكيم بن حزام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اليد العليا خير من اليد السفلى" [2]واليد العليا: أي المعطية تصدقاً عن سعة وغنى ، واليد السفلى: أي الآخذة تسولاً عن فقر وحاجة. وفي الأثر: "كاد الفقر أن يكون كفراً"[3] ، كما أنه صلى الله عليه وسلم تعوذ من الفقر في قوله: "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر" [4].

والتعوذ من الفقر يعني أنه شيء شائن ينبغي للمسلم أن يكون أبعد شيء عنه ، وقد روى أن شقيقاً البلخي أحد الصالحين ذهب في رحلة تجارية يضرب في الأرض ويبتغي من فضل الله ، وقبل سفره ودع صديقه الزاهد المعروف إبراهيم بن أدهم حيث يتوقع أن يمكث في رحلته مدة

---

[1])كتاب السنن لأبي عثمان سعيد بن منصور الخراساني ٢/ ٣٠٨ حديث رقم (٢٩١٩) طبع الدار السلفية ١٩٨٢م. وانظر: الجهاد لابن المبارك ١/ ١٦٢ حديث رقم ٢١٤ الدار التونسية ١٩٧٢م .

[2])البخاري ٢/ ١٣٩ كتاب الزكاة. باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى. ومسلم ٢/ ٧١٧ كتاب الزكاة. باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى. من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

[3]) رواه البيهقي في الشعب ٥/ ٢٦٧ حديث رقم (٦٦١٢) دار الكتب العلمية – بيروت ط/ أولى ١٤١٠ هـ. وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٥٣ دار الكتاب العربي – بيروت ط/ رابعة ١٤٠٥ هـ .

[4]) رواه أبو داود حديث رقم (٥٠٩٠) كتاب الأدب. باب ماذا يقول إذا أصبح. والنسائي حديث رقم (١٣٤٧) كتاب السهو. باب التعوذ دبر الصلاة. وقد ذكر الألباني في تعليقه على أحاديث سنن أبي داود أن الحديث حسن الإسناد .

طويلة ، ولكن لم يمض إلا أيام قليلة حتى عاد شقيق ، ورآه إبراهيم في المسجد ، فقال له متعجباً: ما الذي عجل بعودتك؟ قال شقيق: رأيت في سفري عجباً ، فعدلت عن الرحلة. قال إبراهيم: خيراً ، ماذا رأيت؟ قال شقيق: أويت إلى مكان خرب لأستريح فيه، فوجدت به طائراً كسيحاً أعمى ، وعجبت وقلت في نفسي كيف يعيش هذا الطائر في هذا المكان النائي وهولا يبصر ولا يتحرك؟ ولم ألبث إلا قليلاً حتى أقبل طائر آخر يحمل له الطعام في اليوم مرات حتى يكتفي. فقلت: إن الذي رزق هذا الطائر في هذا المكان قادر أن يرزقني ، وعدت من ساعتي .

فقال إبراهيم: عجباً لك يا شقيق ، ولماذا رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى الكسيح الذي يعيش على معونة غيره ، ولم ترض لها أن تكون الطائر الآخر الذي يسعى على نفسه وعلى غيره من العميان والمقعدين ، أما علمت أن اليد العليا خير من اليد السفلى. فقام شقيق إلى إبراهيم وقبل يده وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق ، وعاد إلى تجارته[1].

[1])فوات الوفيات : محمد بن شاكر الكتبي ٢/ ١٠٦ تحقيق إحسان عباس. دار صادر – بيروت ، . الطبعة الأولى ١٩٧٤ م .

ومن ثم يبدو القعود عن العمل عجزاً يأباه الإسلام لأتباعه ويريد لهم أن يكونوا عناصر فعالة ناشطة أصحاب شخصيات متكاملة تعمل لتبني الدنيا لمصلحة الآخرة.

٣. دور العمل في تقدم الأمة:

إن مما لا شك فيه أن التقدم المادي لأي أمة من الأمم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يمكن أن يقدمه أبناء الأمة من عمل نافع وما يبذلونه من جهد متواصل كل في موقعه في مؤسسات الأمة المختلفة ، وبقدر اتقان العمل والعطاء الذي يبذل فيه بقدر التقدم في مرافق الأمة المختلفة والذي يحدث الازدهار الحضاري ، ولعل سوء الفهم المتصل بقضية العمل وأخلاقيات الإسلام المرتبطة به قد أدى إلى إحداث الوهن والضعف في كيان الأمة .

إن المتتبع لتاريخ الأمة يجد أن الضعف والوهن قد بدأ يتسلل إلى كيانها متزامناً مع بعدها عن منهج ربها وإساءتها لفهم بعض المصطلحات المحورية المتصلة بحياتها كالعبادة والعمل والدنيا ، ففهموا العبادة على أنها جملة من الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والزكاة .. إلخ فقط ، كما فهموا العمل على أنه مجرد جهد يبذل لتحصيل القوت لا علاقة له بالعبادة من قريب أو من بعيد ، ولا أثر له في

تقوية أركان الأمة أو إضعافها ، كما فهموا الدنيا على أنها ملعونة لا ينبغي الاتجاه إليها ولا التفكير فيها ولا تعميرها.

هذه كانت بداية الوهن والسقوط لحضارة مادية وعلمية كان لها مظاهرها في شتى مناحي الحياة ، فقد أذهلت العالم إبداعاتها وإنجازاتها لقرون عديدة وضعت خلالها أمة الإسلام في مقدمة الركب ، فعاش الإنسان ينعم بالأمن والسعادة يرعى منهج الله تعالى ، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ {٤١}﴾[1].

إن المجتمع الإسلامي اليوم في حاجة ماسة إلى التأكيد على قيم الإسلام وأخلاقه المرتبطة بالعمل ، حتى يتنبه الناس إلى أهمية هذه الأخلاق وأثرها على العمل والعامل ، وبالتالي على الأمة كلها .

وفي هذا الإطار نلفت النظر إلى ما سبقت إليه الإشارة من أن المسلم حين يتقن عمله على الوجه الأكمل فإنه يؤدي مهمة سامية ذات أبعاد إيجابية مختلفة ، منها ما يتصل بحاجته هو إلى العمل والأجر الذي يجنيه من خلاله ، ومنها ما يتصل بالثواب الذي يحصل عليه من الله تعالى ، ومنها ما يتصل بحاجة الأمة إلى العمل الذي يؤديه العامل ، والذي يسهم في إحداث التقدم المادي للأمة لتتبوأ مكانتها اللائقة بها بين الأمم ، وهذا ينطبق على أي عمل يُؤدَّى طالما كان نافعاً ، بغض النظر عن نوعه أو ميدانه ، وسواء كان عملاً لدى الدولة أو لدى فرد من أفرادها ، وسواء كان في ميدان الصناعة أو التجارة أو الزراعة أو الخدمات أو غيرها .

حين يدرك العامل هذه الحقيقة يدرك أنه بعمله يقف على ثغر من ثغور الإسلام، فلا ينبغي أن يفرط في عمله أو يهمل في إتقانه حتى لا يُؤتى من قبله ، فيفقد تلك الأبعاد الإيجابية للعمل ، ويساهم هو في إضعاف أمته وتخلفها وتأخرها عن ركب الحضارة .

وإذا كانت مشكلة المجتمع الإسلامي اليوم التي تفرض عليه الذلة والمهانة والتبعية وتوقفه موقف المستجدي وتجعله فقيراً ضعيفاً معوزاً في عصر الثروة والوفرة والقوة ، إذا كانت المشكلة تتمثل بعد جهله لحقيقة دينه وجوهر

[1]) سورة الحج: ٤١ .

الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ {٥١}﴾[1] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[2]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب ، يا رب. ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك"[3].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما حين تلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً)[4] قام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به"[5].

على أن مفهوم العمل الحلال لا يقتصر على الاحتراف أو الامتهان أو الاصطناع أو الاتجار ، وإنما يتسع حتى يشمل كل عمل أو منفعة يؤديها الإنسان مقابل أجر يستحقه ، سواء كان عملاً يدوياً أو ذهنياً أو إدارياً أو فنياً ، وسواء كان لشخص أو لهيئة معينة .

ب. ألا يكون العمل ممنوعاً أو حراماً:

يشترط الإسلام في العمل ألا يكون ممنوعاً أو حراماً ، ودائرة المحرم من العمل – كما سبقت إلى ذلك الإشارة – ضيقة محدودة ، والتحريم فيها قائم على أنه حماية الضرورات الخمس من وقوع الضرر بها ، والضرورات الخمس هي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل[6]. وقد جاء فقه

[1]) سورة المؤمنون: الآية ٥١ .

[2]) سورة البقرة: ١٧٢ .

[3]) رواه مسلم ٢/ ٧٠٣ كتاب الزكاة. باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والترمذي حديث رقم (٢٩٨٩) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. باب ومن سورة البقرة .

[4]) سورة البقرة : ١٦٨ .

[5])رواه الطبراني في الأوسط ٦/ ٣١١ حديث رقم (٦٤٩٥). وقد نسبه الهيثمي في (مجمع الزوائد) إلى الطبراني وقال: وفيه من لم أعرفهم. انظر: مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٥٦ .

[6])انظر الموافقات للشاطبي ٢ / ١٠ .

الحلال والحرام ليحقق الحفاظ على هذه الضرورات من حيث إيجادها وإصلاحها وتكميلها ، ومن حيث إبعاد الموانع ودرء المفاسد التي تعطلها وتهدمها، فكل عمل يخل أو يهدم هذه الضروريات أويكون سبيلاً إلى ذلك فهو محرم ، وعلى المسلم أن يتجنبه ، فقد حرم الإسلام العمل في انتاج الأصنام وإنتاج الخمر ، وفي تربية الخنازير ، وفي تهيئة نوادي القمار وغير ذلك ، وجعل كل ذلك من الحرام الذي يجب على المسلم اجتنابه ، وما أدى إلى الحرام فهو حرام ، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام" ، فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: "لا هو حرام" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: "قاتل الله اليهود ، إن الله تعالى لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه"[1].

وحرم العمل في المال الذي جاء من غير طريق مباح ، وهو المال المسروق والمغصوب ، ومال الربا والرشوة والغرر والخداع ، كما حرم العمل في المجالات التي تؤدي وتعين على الحرام كمن يجمع العنب ويبيعه لمن يتخذه خمرا ، ومن يبيع السلاح لمن يحارب به المسلمين أو يهدد أمنهم ، أو من يعمل في تهريب المعادن النفيسة فيضعف الاقتصاد العام ويتسبب في إفقار الأمة ، أو من يعمل في ملهى يفسد الأخلاق والأعراض "فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن"[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {٩٠}﴾[3]، وعن جابر رضي الله عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء[4].

وإلى جانب ذلك فإن هناك نوعاً آخر من الضوابط تقتضيها أحياناً طبيعة

[1])البخاري ٣/ ١١٠ كتاب البيوع. باب بيع الميتة والأصنام. من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. ومسلم ٣/ ١٢٠٧ كتاب المساقاة. باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام .

[2]) البخاري ٣/ ١١٠ كتاب البيوع. باب ثمن الكلب. ومسلم: كتاب المساقاة. باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي .

[3]) سورة المائدة: ٩٠ .

[4]) البخاري: كتاب البيوع. باب ثمن الكلب. ومسلم واللفظ له ٣/ ١٢١٩ كتاب المساقاة. باب لعن آكل الربا. من رواية جابر رضي الله عنه .

الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ {٥١}﴾[1] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[2]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب ، يا رب. ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك"[3].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما حين تلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً)[4] قام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به"[5].

على أن مفهوم العمل الحلال لا يقتصر على الاحتراف أو الامتهان أو الاصطناع أو الاتجار ، وإنما يتسع حتى يشمل كل عمل أو منفعة يؤديها الإنسان مقابل أجر يستحقه ، سواء كان عملاً يدوياً أو ذهنياً أو إدارياً أو فنياً ، وسواء كان لشخص أو لهيئة معينة .

ب. ألا يكون العمل ممنوعاً أو حراماً:

يشترط الإسلام في العمل ألا يكون ممنوعاً أو حراماً ، ودائرة المحرم من العمل – كما سبقت إلى ذلك الإشارة – ضيقة محدودة ، والتحريم فيها قائم على أنه حماية الضرورات الخمس من وقوع الضرر بها ، والضرورات الخمس هي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل[6]. وقد جاء فقه

---

[1]) سورة المؤمنون: الآية ٥١ .

[2]) سورة البقرة: ١٧٢ .

[3]) رواه مسلم ٢/ ٧٠٣ كتاب الزكاة. باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والترمذي حديث رقم (٢٩٨٩) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. باب ومن سورة البقرة .

[4]) سورة البقرة : ١٦٨ .

[5])رواه الطبراني في الأوسط ٦/ ٣١١ حديث رقم (٦٤٩٥). وقد نسبه الهيثمي في (مجمع الزوائد) إلى الطبراني وقال: وفيه من لم أعرفهم. انظر: مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٥٦ .

[6])انظر الموافقات للشاطبي ٢ / ١٠ .

الحلال والحرام ليحقق الحفاظ على هذه الضرورات من حيث إيجادها وإصلاحها وتكميلها ، ومن حيث إبعاد الموانع ودرء المفاسد التي تعطلها وتهدمها، فكل عمل يخل أو يهدم هذه الضروريات أويكون سبيلاً إلى ذلك فهو محرم ، وعلى المسلم أن يتجنبه ، فقد حرم الإسلام العمل في انتاج الأصنام وإنتاج الخمر ، وفي تربية الخنازير ، وفي تهيئة نوادي القمار وغير ذلك ، وجعل كل ذلك من الحرام الذي يجب على المسلم اجتنابه ، وما أدى إلى الحرام فهو حرام ، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام" ، فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: "لا هو حرام" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: "قاتل الله اليهود ، إن الله تعالى لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه"[1].

وحرم العمل في المال الذي جاء من غير طريق مباح ، وهو المال المسروق والمغصوب ، ومال الربا والرشوة والغرر والخداع ، كما حرم العمل في المجالات التي تؤدي وتعين على الحرام كمن يجمع العنب ويبيعه لمن يتخذه خمرا ، ومن يبيع السلاح لمن يحارب به المسلمين أو يهدد أمنهم ، أو من يعمل في تهريب المعادن النفيسة فيضعف الاقتصاد العام ويتسبب في إفقار الأمة ، أو من يعمل في ملهى يفسد الأخلاق والأعراض "فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن"[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {٩٠}﴾[3]، وعن جابر رضي الله عنه قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء[4].

وإلى جانب ذلك فإن هناك نوعاً آخر من الضوابط تقتضيها أحياناً طبيعة

---

[1])البخاري ٣/ ١١٠ كتاب البيوع. باب بيع الميتة والأصنام. من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. ومسلم ٣/ ١٢٠٧ كتاب المساقاة. باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام .

[2]) البخاري ٣/ ١١٠ كتاب البيوع. باب ثمن الكلب. ومسلم: كتاب المساقاة. باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي .

[3]) سورة المائدة: ٩٠ .

[4]) البخاري: كتاب البيوع. باب ثمن الكلب. ومسلم واللفظ له ٣/ ١٢١٩ كتاب المساقاة. باب لعن آكل الربا. من رواية جابر رضي الله عنه .

القرافي في (الفروق): فمن بـاع وجـب عليه أن يتعلم ما عينه الله وشرعه في البيع ، ومن أجر وجب عليه أن يتعلم ما شرعه الله في الإجارة ، ومن قارض وجب عليه أن يتعلم حكم الله في القراض[1].

فالإسلام يحرص على أن يقوم العمل مرتبطاً بالعلم ، سواء كان العلم المتصـل بأحكامه الشرعية ، أم العلم المتصل بذات العمل وفنياته التي يحتاج إليها حتى يخرج على أفضل صورة ، فيتحقق به تقدم الأمة ، وبالتالي التمكين لها ، وهذا ما يتطلبـه إتقان العمل الذي أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"[2].

الثاني: أن الإسـلام لا يصـنف العمل إلى رفيع ووضيع ، ولا ينفر مـن عمل قط مادام صالحاً وتدعو إليه الحاجة ، وقد كان النبي صلى الله عليـه وسـلم وصحابته في سفر ، وأرادوا إعداد الطعام

---

[1]) الفروق للعلامة شهاب الدين القرافي ، الفـرق الثالث والتسعون ، ٢/ ١٤٨ طبع دار المعرفة .

[2]) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٣٤ حديث رقم (٥٣١٢). والطبراني في المعجم الأوسـط ١/ ٢٧٥ حديث رقم (٨٩٧) دار الحرمين – القاهرة ١٤١٥ هـ. ورواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) عن أبي يعلى ، قال: وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابـن حبان وضعفه جماعة. انظر: مجمع الزوائد ٤/ ٩٣ .

، وتكفل كل واحد بجانب من العمل ، فقال صلى الله عليه وسلم: "وأنا علـيّ جمع الحطب"[3] ورفض أن يكفيه صحابته قائلاً: "إن الله يكره العبد المتميز" وجمـع الحطب عمل شاق ومهمة تحتاج إلى معاناة كبيرة ، إذ يتحرك صاحبها هنا وهناك بحثاً عن حطبة يضعها على غيرها ثم يحمل مـا جمع إلى مكان إعداد الطعام ، فلم يختـر النبي صلى الله عليه وسلم عمـلاً بعينـه يكون فيه نوع من الراحة أو التميز على صحابته ، كما كان صلى الله عليه وسلم في بيته يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويحلب شاته ، ويعلف بعيره ، ويقم بيته .

وهناك من صغار الموظفين من يجدون حرجاً في القيام بمثل هـذه الأعمـال ، ويرون في ذلك انتقاصاً من قدرهم ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستنكف عن هذا ، ولم يستنكف أن يقول للعباس وبنيه وهم يسقون ويعملون في زمزم: "اعملوا فإنكم على عمل صالح" ، ثم قال: "لـولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل علـى هذه. وأشار صلى الله عليـه وسـلم إلى عاتقه[4].

---

[3]) كشف الخفا للعجلوني ١/ ٢٩٢ حديث رقـم (٧٦٥) ، قال العجلوني: قال السخاوي: لا أعرفه. مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٥هـ .

[4]) البخاري ٢/ ١٩١ كتاب الحج. باب سـقاية الحاج. من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

وفي فترة ازدهار المجتمع الإسلامي في عصر النبوة والخلافة الراشدة كانت كلمة (عمال) تطلق على ولاة الأمصار والقائمين على الصدقة ، ثم بدأت تتدهور وتتقلص تدريجياً حتى كادت تنحصر اليوم في العمل اليدوي .

إن الإنسان لا يعيبه مطلقاً أن يمارس عملاً ما أو يزاول حرفة أي حرفة مادامت مباحة مشروعة يتقنها ويؤديها على خير وجه ، فيتكسب منها ما يحفظ عليه كرامته ويصون به عرضه ، ويؤدي بها دوراً يحتاج إليه المجتمع الإسلامي ، وإنما الذي يعيب المرء كل العيب أن ينتظر تفضل الناس عليه ومعونتهم له مع قدرته على أن يكفي نفسه ، تلك هي المهانة والمذلة التي دعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم إلى تجنبها في قوله صلى الله عليه وسلم: "لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"[1].

[1]) سبق تخريجه .

المبحث الثاني
جهة العمل

جهة العمل هي الجهة التي يعمل لها العامل ويحصل منها على أجر ، وقد تكون جهة العمل مؤسسة تعمل في مجال الصناعة أو في مجال التجارة أو في مجال الخدمات أو غيره ، وقد تكون هذه المؤسسة حكومية تابعة للدولة ، وقد تكون خاصة تابعة لفرد أو أفراد وقد تكون جهة العمل فرداً من الأمة يعمل لدية العامل ويؤدي له مهنة ما سواء كانت هذه المهمة مؤقتة بزمن محدد أو دائمة ممتدة .

والعلاقة التي تسود بين جهة العمل والعامل ينبغي أن تكون علاقة انسجام وود ورغبة أكيدة في النجاح وتعاون بين طرفين تربط كلاً منهما بالآخر الحاجة والمصلحة المتبادلة ، فتكون ثمرته حينئذ عملاً متقناً يخرج في أفضل صورة وأحسنها ، وفي هذا الإطار يجب أن تلتزم جهة العمل حيال العامل بهذه الالتزامات:

أولاً- حسن اختيار الشخص المناسب للعمل:

يأتي الناس إلى الحياة لا يعلمون شيئاً ثم يأخذون في الانتشار في الأرض يتعلمون ويمارسون الأعمال المختلفة ، فتظهر قدراتهم وتتميز مواهبهم ، فيكون منهم من يحب هذا النوع من الصناعة ، ومن ينبغ في هذا النوع من التجارة ، ومن تبدو فيه موهبة الإدارة وحسن القيادة ، وهكذا تظهر في كل فرد ميوله وقدراته ومواهبه ، والمجتمع الناجح هو الذي يستفيد من أبنائه كل فيما نبغ فيه فيحقق بذلك التفوق والتقدم ، والإسلام الحنيف يؤكد على هذا حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي سأله عن الساعة : "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة" قال : كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة"[1] فلا ينبغي أن يتولى العمل إلا من يتوفر فيه النبوغ والمهارة والتمكن والقدرة على انجازه بكفاءة وإحسان .

والنبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى أن من علامات الساعة أن يتولى العمل من ليس له بأهل ، على أن الإسلام الحنيف يضع في قضية الأهلية لتولي العمل قاعدتين أساسيتين يرى ضرورة توافرهما في العامل: الأولى : الأمانة ، والثانية : الكفاءة ، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ {٥٥}﴾[2] فعبر بكلمة (حفيظ) عن الأمانة وبكلمة (عليم) عن الكفاءة ، ولعل في الإخلال بما تقتضيه مهام الوظيفة من كفاءة ومهارة تأثيره على أمانة القيام بها نفسها ، فيكون إخلالاً كذلك بالأمانة ، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : "يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)[3].

إن أبا ذر هنا لا تنقصه الأمانة فهو صحابي جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الذي ينقصه هو الكفاءة ، وهو ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "يا أبا ذر إنك ضعيف" والمقصود إن في طبع هذا الصحابي الجليل ليناً ورقة لا تناسب ما تقتضيه الولاية من شدة وقوة ترهب الظالم وتردعه ، وتمنعه من الإقدام على مباشرة الظلم أو الاعتداء.

[1]) البخاري ١/ ٢٣ كتاب العلم. باب من سئل علماً . . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[2])سورة يوسف :٥٥

[3]) مسلم ٣/ ١٤٥٧ كتب الإمارة. باب كراهة الإمارة بغير ضرورة .

وقال الحق سبحانه وتعالى على لسان ابنة الرجل الصالح حين طلبت من أبيها استخدام سيدنا موسى عليه السلام : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ {٢٦}﴾[1] فلابد بجانب الأمانة من الكفاءة التي تتمثل هنا في القوة التي تتطلبها وظيفة الإجارة ، إذ الضعيف لا يكون أجيراً كفئاً .

وقد راعى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعون هاتين القاعدتين (الأمانة والكفاءة) فيما يخص الولايات والمسئوليات فوضعوا كل إنسان في مكانه المناسب ، فنجد الرسول صلى الله عليه وسلم يختار معاذ بن جبل ليوليه اليمن لفقهه ورجاحة عقله وخلقه، ويختار مصعب بن عمير ليكون داعية الإسلام في المدينة لحكمته وقوة عقيدته وحسن أسلوبه ، ويختار عمراً عاملاً على الصدقات لعدله وحزمه ، ويختار خالداً للجيش لمهارته وحنكته العسكرية ، ويختار بلالاً لبيت المال لتقواه وزهده وحسن تدبيره ، ويسير أبو بكر رضي الله عنه على نفس المنوال فيختار زيد بن ثابت لمهمة جمع القرآن لعلمه وحفظه وكياسته وفطانته ، وهؤلاء جميعاً بالإضافة إلى كفاءتهم فقد بلغوا ذروة الأمانة .

وإذا تساوت الكفاءة والمهارة لدى شخصين يختار الأكثر أمانة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : "من استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ، وخان رسوله ، وخان المؤمنين"[2].

على أنه لا ينبغي أن تكون هناك محاباة في اختيار الشخص المناسب للعمل ، فلا تُراعى هاتان القاعدتان (الأمانة والكفاءة) ، فيتم اختيار الشخص لقرابته أو صداقته أو وجود مصلحة شخصية في اختياره أو غير ذلك ، وقد روي عن يزيد بن أبي سفيان قال: قال لي أبو بكر الصديق حين بعثني إلى الشام: يايزيد! إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة ، وذلك أكثر ما أخاف عليك بعدما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم"[3].

---

[1]) القصص: ٢٦ .

[2]) الحاكم في المستدرك ٤/ ١٠٤ حديث رقم (٧٠٢٣) كتاب الأحكام. دار الكتب العلمية - بيروت ط/ أولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

[3]) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٠٤ حديث رقم (٧٠٢٤) كتاب الأحكام. وأحمد في مسنده ١/ ٦ مسند أبي بكر الصديق حديث رقم (٢١) مؤسسة قرطبة - مصر . نسبه الهيثمي إلى الإمام أحمد وقال: فيه رجل لم يسم. انظر: مجمع الزوائد ٥/ ١٧٦ .

إن الأمة حين تنتشر فيها المحاباة وتعبث فيها الشفاعات والمصالح الشخصية بالمصالح العليا المقررة فتتجاهل أقدار الرجال الأكفاء لتهملهم وتقدم مَن دونهم تكون النتيجة ضعفاً وتخلفاً يدب في أوصال الأمة ومؤسساتها فيقضي على قوتها وتفوقها ويضعها في مؤخرة الركب.

ثانياً – تنمية الوعي الديني والمهني لدى العامل:

مما يجب أن تلتزم به جهة العمل تنمية الوعي الديني والمهني لدى العامل ، فتنمية الوعي الديني تزيد من أمانة العامل ، وتنمية الوعي المهني تزيد من كفاءته ، أما من جهة الوعي الديني فلا خلاف على أن العامل حين يتوفر له حسن الفهم لدينه والمعرفة الصحيحة بأصوله وفروعه ينعكس ذلك إيجابياً على عمله ، فحين يدرك العامل أهمية العمل في الإسلام ، وأنه يمثل جهاداً في سبيل الله تعالى – على النحو الذي أسلفنا– وأنه بعمله يقف على ثغر من ثغور الإسلام ، ويساهم في نهضة الأمة وقوتها ، وأن أي تقصير في أداء العمل سيعرض المقصر لحساب الله يوم القيامة ، لا شك أن ذلك يدفعه إلى إتقان عمله وحسن أدائه ، ومراقبة الله عز وجل فيه .

إن إهمال التوعية الدينية للعامل التي تزيد في أمانته وتوقفه على ما يجب عليه تجاه ربه وعمله ، قد تدفع العامل إلى الإهمال في إتقان عمله فلا تستفيد منه جهة العمل الاستفادة المطلوبة رغم كفاءته ومهارته ، ويكون ذلك بعقد ندوات دينية بصورة دورية للعمال ، وتزويدهم بالكتب والدوريات والمطويات التي تنمي لديهم الوعي الديني ، وفي هذا الصدد أقترح أن تكون في كل مؤسسة هيئة دعوية من علماء الإسلام تقوم بدورها في تثقيف العامل دينياً وتنبيهه إلى أهمية دوره في خدمة المجتمع ، وأثر هذا الدور في قوة الأمة والوطن.

وأما بالنسبة للوعي المهني فيكون بتطوير المهارات والقدرات الفنية لدى العامل ، وتزويده بالجديد فيما يتصل بتخصصه ، ويكون ذلك بعقد الدورات التأهيلية والتدريبية المتخصصة التي يتم من خلالها تنمية وعيه المهني بما يزيد من كفاءته وحسن إتقانه لعمله .

ولا شك أن الإهمال في ذلك لا يخرج بالعمل إلى الصورة المثلى وحينئذ لا يستطيع العامل أن يتقن عمله على النحو المطلوب مهما توفرت له من أمانة .

ثالثاً – الحساب والمساءلة :

من الالتزامات التي يجب أن تقوم بها جهة العمل تجاه العمال واجب الحساب والمساءلة ، فإن النفس الإنسانية إذا تُركت لشهواتها انحرفت وفُتنت ، وليس شيء أضر لها من أن تأمن الحساب ، وتغدو بعيدة عن المساءة فيلعب بها الهوى فتضيع العمل ، وتقوم دون إتقانه على الوجه الذي يحبه الله ورسوله ، وقد روي عن أبي حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلاً فجاء يقول: هذا لكم ، وهذا أُهدي إلي. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول: هذا لك ، وهذا لي؟ فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيُهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده ، لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بعيراً له رُغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تَيْعَر ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ، ثم قال: ألا هل بلغت ثلاثاً؟" [1].

وقال صلى الله عليه وسلم: "من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة" فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه فقال: يا رسول الله! اقبل عني عملك. قال: "وما لك؟" قال: سمعتك تقول: كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأنا أقوله الآن: من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره. فما أُوتي منه أخذ ، وما نُهي عنه انتهى" [2].

ولا بأس بتطبيق مبدأ الثواب والعقاب ، فتقوم جهة العمل بمكافأة المحسن المتقن لعمله المبدع فيه ، ومعاقبة المهمل له المسئ في أدائه ، وهو مبدأ إسلامي أصيل من شأنه أن يحفز العامل إلى الإجادة والإتقان .

إن المساواة بين المحسن في عمله والمسئ فيه من شأنه أن يشجع على الإهمال والخمول ، ويقضي على العبقريات والمواهب ، ويقتل روح الإبداع والابتكار .

إضافة إلى هذا فإن عدم عقاب المفرطين والمهملين بسبب المحاباة واختلاف

[1]) البخاري ٩/ ٨٨ كتاب الأحكام. باب هدايا العمال .

[2]) مسلم ٣/ ١٤٦٥ كتاب الإمارة. باب تحريم هدايا العمال. من حديث عدي بن عميرة الكندي.

الموازين شجع الفساد وأضعف الاقتصاد ، وهبط بمستوى الإنتاج ، فأخر الأمة وأضر بها ضرراً بليغاً ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد" [1].

رابعاً –تناسب، الأجر مع العمل :

إذا كان الإسلام الحنيف يوجب العمل على كل قادر على الكسب فإنه يقرر أجرة كل عامل على عمله ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أُعطي بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره" [2] فالحديث يشتمل على وعيد شديد لذلك الذي غمط الأجير حقه ولم يعطه أجره الذي قدم به عملاً لم يهمل فيه ولم يفرط ، وفي الحديث الآخر: "اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه" [3] ، والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [4] وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {١٨٣}﴾ [5]، وأي فساد أعظم من استحلال أجر عامل قد وفى ما عليه ولم يأخذ ما له؟ على أن هذا الأجر ينبغي أن يكون مكافئاً للعمل بما يحقق العدل ، فإن انقاص الأجرة عما يستحقه العامل على عمله ظلم ، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [6]، وفي الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" [7]، وقال صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة" [8] ، وينبغي أن

[1]) البخاري ٥/ ١٩٢ كتاب المغازي. باب من شهد الفتح. ومسلم ٣/ ١٣١٥ كتاب الحدود. باب قطع السارق الشريف وغيره .

[2]) البخاري ٣/ ١٠٨ كتاب البيوع. باب إثم من باع حراً. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[3]) مجمع الزوائد للهيثمي ٤/ ٩٨ كتاب البيوع. باب إعطاء الأجير والعامل. ونسبه إلى الطبراني في الأوسط ،قال: وفيه شرقي بن قطامي وهو ضعيف.

[4]) سورة البقرة: ١٨٨ .

[5]) سورة الشعراء: ١٨٣ .

[6]) سورة النحل: ٩٠ .

[7]) مسلم ٤/ ١٩٩٤ كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم. حديث رقم (٢٥٧٧).

[8]) مسلم ٤/ ١٩٩٦ كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم. حديث رقم (٢٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله .

يكون التفاوت في الأجر بسحب طبيعة العمل ، ودرجة إتقانه، وما يحتاج إليه من خبرة ومهارة ، وهو ما ينسجم مع التفاوت الطبيعي في القدرات والمهارات بين الأفراد ، مما يؤدي إلى تنمية الحافز لدى أفراد المجتمع في التنافس فيما بينهم لتطوير قدراتهم ومهاراتهم .

ولا شك أن تقدير جهة العمل للعامل وإعطائه من الأجر ما يتناسب مع ما يقدمه من عمل من شأنه أن يدفع العامل إلى إتقان العمل والإحسان فيه ، إذ ماذا ينتظر العامل بعد أن تعطيه جهة العمل أجره إلا أن يؤدي العمل على الوجه الذي يرضي الله تعالى ، ومن أخذ الأجر الذي يستحق حاسبه الله على العمل الذي يقابل هذا الأجر .

خامساً-الكفالة والرعاية للعامل:

فمن واجبات جهة العمل كفالة العامل لديها وتوفير الخدمات الصحية والاجتماعية له ولذويه ، وهو مما يدخل في إطار المسئولية التي أشار إليها الحديث الشريف: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[1]، وعن المستورد بن شداد الفهري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من ولي شيئاً فلم تكن له امرأة فليتزوج امرأة ، ومن لم يكن له سكن فليتخذ مسكناً ، ومن لم يكن له مركب فليتخذ مركباً ومن لم يكن له خادم فليتخذ خادماً ، فمن اتخذ سوى ذلك كنزاً أو إبلاً جاء الله به يوم القيامة غالاً أو سارقاً [2]، وعن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه بالربذة وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني سابيت رجلاً فعيرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر! أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم" [3]ولا شك أن مثل هذه الرعاية للعامل وأسرته من قبل جهة

---

[1] البخاري ٣/ ١٥٧ ، ١٥٨ كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس. باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه. من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ومسلم ٣/ ١٤٥٩ كتاب الإمارة. باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

[2] الأموال لأبي عبيد ص ٣٧٦ .

[3] البخاري ١/ ١٤ كتاب الإيمان. باب: المعاصي من أمر الجاهلية. ومسلم ٣/ ١٢٨٣ كتاب الأيمان. باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه .

العمل من شأنها أن تنمي ولاء العامل لجهة عمله فيبذل قصارى جهده في إتقان هذا العمل الذي لا يجد تقصيرا من أصحابه نحوه ونحو أسرته .

سادساً-الرحمة بالعامل والرفق به:

أوجب الإسلام على جهة العمل الرحمة بالعامل والرفق وحسن التعامل معه فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله! كم أعفو عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا رسول الله! كم أعفو عن الخادم؟ فقال: "كل يوم سبعين مرة")[1].

إن العمال بشر تعتريهم حالات الضعف البشري ، فقد يخطئ عامل لسبب أو لآخر ثم يعتذر جاداً ، فتقبل منه ، وقد يمرض فلا نقبل أن يعمل وهو مريض حتى لا يتفاقم مرضه، بل نعالجه ونشعره بالخوف عليه إلى آخر هذه الحالات الإنسانية التي نتعامل فيها مع العامل بالرحمة والرفق ، ولا شك أن جهة العمل حين تتعامل بهذا المنطق الرحيم مع العامل تجني أعظم ثمرة ، إذ العامل في هذه الحالة سيقبل بكل طاقته على العمل يحبه ويحافظ عليه، ويبذل في سبيل إتقانه طاقة مضاعفة فالتعامل الإنساني معه فجر طاقاته ومواهبه .

---

[1] الترمذي حديث رقم (١٩٤٩) كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. باب ما جاء في العفو عن الخادم. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب .

المبحث الثالث
العامل

العامل هو القائم بالعمل، ولا نعني به الشخص الذي يمارس عملاً يدوياً أو الذي يعمل في الوظائف الدنيا في مصنع أو شركة أو مؤسسة أو نحو ذلك ، بل نعني به المعنى الواسع للكلمة فتشمل كل من يؤدي عملاً بغض النظر عن نوع العمل وطبيعته وقد كان هذا هو المعنى الذي تدل عليه الكلمة في عصر ازدهار الأمة فقد كانت كلمة (عمال) تطلق كذلك على الولاة وجامعي الصدقات .

والإسلام الحنيف يدعو العامل إلى إتقان عمله وإجادته وترقيته وإحسانه ، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"[1] إن العامل حين يدرك جيداً معنى هذا الحديث ويعرف أن الله تعالى يحب من عبده أن يتقن عمله فإنه يعمل بكل ما أوتي من طاقة على إتقان العمل والإحسان فيه على النحو الذي يحبه الله تعالى ، وتلك من علامات الإيمان الصادق من العبد المسلم ، ونلاحظ في الحديث الشريف تنكير كلمة (عملاً) لتشير إلى أي عمل أياً كان نوعه أو طبيعته يقبل عليه المسلم ويشرع في انجازه ، لا يهم إن كان هذا العمل لنفسه في بيته أو كان في مدرسته أو جامعته أو مصنعه أو شركته أو في غير ذلك ، ومن خلال مفهوم المخالفة ندرك أيضاً أن الله تعالى يكره تضييع العمل والإهمال فيه .

ومن إتقان العمل حسن رعايته والشعور بالمسئولية تجاهه فقد قال صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته"[2].

وقال صلى الله عليه وسلم : "الخازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به طيبة به نفسه أحد المتصدقين"[3].

أخلاق العامل :

على أن العامل لا يتسنى له إتقان عمله على الوجه الأكمل إلا إذا اتصف بهذه الأخلاق :

---

[1]) سبق تخريجه .

[2]) سبق تخريجه .

[3]) مسند أحمد ٤/ ٤٠٩. والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٧ حديث رقم (٧٦٩٥) .

١. الأمانة :

تعد الأمانة من أهم ما يتصف به العامل من أخلاق ، وقد سبقت الإشارة إلى أن الأمانة والكفاءة هما القاعدتان اللتان يجب أن يُختار على أساسهما العامل ، بل إن الأمانة هي الصفة الملازمة للمؤمن في جميع أحواله ، فإذا فقدها فقد الإيمان فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال : "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له" [1] ومن معاني الأمانة أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً في العمل الذي يناط به ، وأن يستنفد جهده في إبلاغه تمام الإحسان، أجل إنها الأمانة التي يمجدها الإسلام ، أن يخلص الرجل لعمله ، أن يعني بإجادته وأن يسهر على حقوق الناس التي وضعت بين يديه ، فإن استهانة الفرد بما كلف به، وإن كان تافهاً ، تستتبع شيوع التفريط في حياة الجماعة كلها ، ثم استشراء الفساد في كيان الأمة وتداعيه برمته .

وخيانة هذه الواجبات تتفاوت إثماً ونكراً ، وأشدها شناعة ما أصاب الدين وجمهور المسلمين وتعرضت البلاد لأذاه قال صلى الله عليه وسلم: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، يرفع لكل غادر لواء يعرف به ، فيقال : هذه غدرة فلان .." [2] .

ومن معاني الأمانة : ألا يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه لجر منفعة إلى شخصه أو قرابته ، فإن التشبع من المال العام جريمة .

وإذا كان العامل يحصل من جهة العمل على أجر معين ، فإن محاولة التزيد عليه بالطرق الملتوية هي اكتساب للسحت ، قال صلى الله عليه وسلم : "من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً ، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول" [3] قال

---

[1]) مسند أحمد ٣/ ١٣٥ حديث رقم (١٢٤٠٦). والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢٢٧ حديث رقم (١٠٥٥٣). ونسبه الهيثمي إلى الطبراني وقال: فيه حصين بن مذعور عن فرس التيمي ولم أر من ذكرهما. انظر: مجمع الزوائد ١/ ٤١ .

[2]) البخاري ٨/ ٥١ كتاب الأدب. باب ما يدعى الناس بآبائهم. من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ومسلم ٣/ ١٣٥٩ واللفظ له ، كتاب الجهاد والسير. باب تحريم الغدر. من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

[3])أبو داود حديث رقم (٢٩٤٣) كتاب الخراج والإمارة والفيء. باب في أرزاق العمال. وقد ذكر الألباني في تعليقه على أحاديث سنن أبي داود أن الحديث صحيح الإسناد .

تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ {١٦١}﴾ [١].

وفي الحديث الآخر: "من استعملناه منكم على عمل ، فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة" فقام رجل من الأنصار كأني أنظر إليه فقال : يا رسول الله اقبل عني عملك ،قال:" ومالك ؟" قال سمعتك تقول : كذا وكذا. قال : "وأنا أقوله الآن : من استعملناه منكم على عمل فليجيء بقليله أو كثيره ، فما أوتي منه أخذ وما نهي انتهى"[٢] ومن معاني الأمانة كذلك أن يوفى العامل بشروط العقد الذي ارتبط به واتفق عليه مع جهة العمل ، والحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ [٣] ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "المسلمون على شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً "[٤]

وإن الإخلال بالعقود خيانة كبرى تكاد تودي بصاحبها وتقضي على مصالح الأمة مما يؤدي إلى الضعف والهوان .

ومن ثم تظهر أهمية الأمانة كخلق ينبغي أن يتصف به المسلم العامل فيتقن عمله على الوجه الذي يحبه الله ورسوله ، فيسعد بما اكتسب من مال حلال ، ويصب ذلك في قوة الأمة وتقدمها .

٢. الإخلاص :

وهو يعني أن يبتغي المسلم بعمله وجه الله تعالى لا وجوه الناس ، فيكون ذلك الباعث الذي يسوق المرء إلى إتقان العمل ، ويدفعه إلى إجادته ، ويغريه بتحمل التعب فيه وبذل الكثير من أجله ، وتلك هي النية الصالحة التي تحتاج إلى دوام الرعاية فيكون الأجر العظيم والثواب الجزيل من الله رب العالمين ، قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا

---

[١])سورة آل عمران :١٦١

[٢]) سبق تخريجه. وانظر: خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي ص٤٥ وما بعدها .

[٣]) سورة المائدة: ١ .

[٤]) البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٢٤٨ حديث رقم (١٤٢١٠) باب الشروط في النكاح. ورواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٤/ ١٩٠ كتاب الأحكام. باب الشروط. بلفظ "المسلمون عند شروطهم فيما أحل" ونسبه إلى الطبراني في الكبير. قال: وفيه حكيم بن جبي وهو متروك ، وقال أبو زرعة: محله الصدق إن شاء الله. انظر: المجمع ٤/ ١٩٠ .

يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" [١].

إن صلاح النية وإخلاص القلب لله رب العالمين يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعلانه عبادة متقبلة لها أجرها عند الله تعالى ، وإن سوء النية وخبث الطوية يهبطان بالطاعات المحضة فيقلبانها معاصي شائنة ، فلا ينال المرء منها بعد التعب في أدائها إلا الفشل والخسار ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء ، أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجراً جارياً ما انتفع به أحد من خلق الرحمن تبارك وتعالى" [٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة" [٣].

وينبغي للعامل في أي ميدان من ميادين العمل أن يحتسب ما يقدمه في عمله من جد واجتهاد ، وما يلاقيه فيه من كد وتعب عند الله تعالى ، يقصد به مصلحة البلاد والعباد ورضا الله جل جلاله ، ولا يكون كالدابة التي تكدح طوال النهار في نظير طعامها فحسب ، فالمسلم العاقل يغالي بنشاطه وتعبه فيجعلهما لشيء أجل من مجرد الحصول على راتب .

٣. الصبر :

من أخص الأخلاق التي يجب أن يتصف بها المؤمن العامل ، فلا إنجاز للعمل ولا إتقان له إلا بالصبر ، وهو خلق ضروري في حياة المؤمن عامة ، فلا إيمان لمن لا صبر له ، وإن وجد فإيمان ضعيف لا يبعث على عمل ، ولا يهدي إلى خير ، ولا يدفع إلى التزام ، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {١١٥}﴾ [٤]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {٩٠}﴾ [٥]، فمن يتميز بالصبر ويتخلق به كان محسناً فيما يأتيه من عمل، والله عز وجل لا يضيع أجر محسن ، بل يجزيه بأحسن ما كان يعمل ، قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ

---

[١]) سبق تخريجه .

[٢]) رواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٣/ ١٣٤ كتاب الزكاة. باب فيمن غرس غرساً أو بنى بنياناً. ونسبه إلى أحمد والطبراني في الكبير قال: وفيه زبان بن فائد ، ضعفه أحمد وغيره ووثقه أبو حاتم .

[٣]) سبق تخريجه. وانظر المرجع السابق للشيخ محمد الغزالي ص ٦٦ .

[٤]) سورة هود: ١١٥ .

[٥]) سورة يوسف: ٩٠ .

أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1].

إن العامل في حاجة ماسة للتخلق بخلق الصبر الذي يعطيه قوة على مواصلة العمل وتحمل أعبائه ، والخروج به في أحسن صورة وأفضلها .

والصبر من عناصر الرجولة والبطولة فإن الأعباء الثقال لا يقدر عليها الضعاف ، وأمتنا الإسلامية في حاجة إلى سواعد قوية صابرة قادرة على انجاز الجسام من الأعمال في شتى مؤسساتها حتى تنهض وتقوى ، أما الضعاف المهازيل الذين لا قدرة لهم على تحمل مصاعب العمل والمثابرة على تبعاته ، فهؤلاء لن تتقدم بهم الأمة بل ستضعف وتتردى .

٤. الإحسان :

من أبرز الأخلاق اللازمة للمسلم عامة وللعامل خاصة خلق الإحسان ، وفي الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان ، فقال صلى الله عليه وسلم: "أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[2] فالإحسان أن تؤدي العبادة مقترنة بشعور المؤدي برؤيته لله تعالى ، وتلك منزلة عالية لا يستطيعها كل الناس ، وإذن فليؤدي من لم يحقق هذه المنزلة العبادة مقترنة بشعوره برؤية الله تعالى له ، وهو شعور يدفع العبد إلى إتقان العمل وبذل غاية الجهد فيه حتى يخرج على أفضل صورة وأبهاها .

وتلك هي الرقابة الذاتية اليقظة والدائمة والمتجددة على العامل ، ولا يستطيع نظام عمل في أي دولة غير دولة الإسلام أن يوجد مثل هذه الرقابة التي تحول بين العامل وبين إهمال عمله والتقصير فيه ، والتي يتغلب بها العامل على عوامل الضعف وإغراءات الكسب ونوازع القصور ، إن كل القوانين والسلطات ووسائل القمع ونظم المحفزات تعجز عن أن تتابع في السر والعلن أداء العامل ، أو تقهر فيه عوامل الضعف والإغراء ، فليس هناك سوى قوة واحدة غالبة مهيمنة عالمة بالسر والنجوى هي قوة الله تعالى التي يراقبها المسلم المحسن في جميع أوقاته عندما يؤدي عمله .

وقد دعا الإسلام الحنيف إلى الإحسان في العمل ، فقال الرسول صلى

---

[1]) سورة النحل: ٩٦ .

[2])البخاري ١/ ١٩ ، ٢٠ كتاب الإيمان. باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعن الساعة. ومسلم ١/ ٣٧ كتاب الإيمان. باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

الله عليه وسلم: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليُحِدَّ أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته"[1].

وقد وعد الله تعالى أن يُوفي العامل أجره إذا ما أحسن وأجاد ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾[2].

إن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى تفعيل هذا الخلق الإسلامي والانتفاع به في ميادين العمل المختلفة ، حيث يؤدي العامل أفضل ما لديه من إبداع ، ويبذل أقصى ما يملك من جهد ليخرج العمل في غاية الإحسان والإتقان ، وإن النكوص عن هذا ليضيع على الأمة الخير الكثير ، ويوصد دونها باباً فتحه الإسلام للإحسان في كل عمل يؤدى في محيط المجتمع الإسلامي سواء فيما يتصل بالدين أو بالدنيا ، فتنشط مؤسسات الأمة وتقوى ، وتتحرك عجلة الاقتصاد وتزدهر ويُمكّن للأمة ودينها في الأرض .

---

[1]) صحيح مسلم ٣/ ١٥٤٨ كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان. باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة. من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه .

[2]) سورة الكهف: ٣٠ .

الخاتمة

وفي الختام أود أن أشير إلى أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها هذه الدراسة والتي أوجزها فيما يأتي:

أولاً - النتائج ، وأهمها:

- مدلول العمل في الإسلام أوسع من أن يكون مجرد وسيلة لاكتساب الرزق ، فهو في الإسلام عبادة لها عظيم الأثر في الدنيا وجزيل الثواب في الآخرة .
- إن إساءة فهم المدلول الصحيح للعمل في الإسلام قد ساهم فيما تعانيه الأمة اليوم من تأخر وضعف أصاب اقتصاد الأمة في مقتل ، وأثمر جيوشاً من الفقراء والمرضى والمعوزين لا يكادون يجدون ما يسد رمقهم ، أو يشفى أمراضهم ، أو ينهي معاناتهم .
- يرى الإسلام القعود عن العمل عجزاً لا يقبله لأتباعه ، ويريد لهم أن يكونوا عناصر فعالة ناشطة أصحاب شخصيات متكاملة تعمل لتبني الدنيا لمصلحة الآخرة .
- تشتد الحاجة اليوم إلى تنبيه المسلمين إلى أهمية قيم الإسلام المرتبطة بالعمل حتى يكون جاداً ومتقناً ، فيعود أثره على الأمة وأبنائها ومرافقها .

• للعمل في الإسلام ضوابط محددة ينبغي أن يتم العمل في إطارها حتى تتحقق به المنفعة الخاصة والعامة معاً ، وإلا أصبح حراماً يمنعه الشرع لتحقق وقوع الضرر به على الفرد والمجتمع على السواء.

• لابد للعامل لكي يتقن عمله على أكمل وجه وأحسنه من أن يتحلى بأخلاق الإسلام ومنها: الأمانة ، والإخلاص ، والصبر ، والإحسان وغيرها من الصفات اللازمة للمسلم بوجه عام وللعامل بوجه خاص .

ثانياً – التوصيات :

ونوجز أهمها فيما يلي :

• عقد ندوات دينية بصورة دورية للعمال لتنمية الوعي الديني لديهم بصفة عامة والوعي الديني المرتبط بقيم العمل وأخلاقه في الإسلام بصفة خاصة ، على أن يشارك في هذه الندوات النخبة المتميزة من علماء الأمة .

• اعتماد منهج دراسي يستوعب ما يتصل بأخلاقيات المهنة وتدريسه في المؤسسات التعليمية المختلفة من مدارس ومعاهد وجامعات .

• تزويد العمال بالكتب والدوريات والمطويات التي تنمي لديهم الفهم الواعي لدينهم ، والمعرفة الدقيقة لواجبهم نحو ربهم ومجتمعهم .

• لتنمية الوعي الديني لدى العامل أقترح أن تكون في كل مؤسسة هيئة دعوية من علماء الإسلام تقوم على تثقيف العامل دينياً ، وتنبيهه إلى أهمية دوره في خدمة المجتمع ، وأثر هذا الدور في قوة الأمة والوطن .

• يجب الاهتمام بتنمية الوعي المهني للعامل من خلال عقد الدورات التأهيلية والتدريبية المتخصصةالتي تقوم بتطوير المهارات والقدرات الفنية لدى العامل ، وتزويده بالجديد في ميدان تخصصه بما ينعكس على وعيه المهني ، ويزيد من كفاءته وحسن إتقانه لعمله .

ولا شك أن الإهمال في ذلك لا يخرج بالعمل إلى الصورة المثلى وحينئذ لا يستطيع العامل أن يتقن عمله على النحو المطلوب مهما توفرت له من أمانة .

تم البحث بحمد الله تعالى ، ونسأل الله تعالى أن ينفع به كل من قرأه ، وأن يمثل خطوة مفيدة على طريق البحث العلمي ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

د. أحمد محمد أحمد الشرنوبي

قائمة بأهم المراجع

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: كتب الحديث الشريف ، ومنها: الجامع الصحيح للإمام البخاري ، صحيح الإمام مسلم ، سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ، ومسند الإمام أحمد ..الخ .

ثالثاً: المراجع المختلفة التالية :

– الاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي ، دار المعرفة بيروت ط/ ثالثة ١٣٩٥ هـ .

– أخلاقيات الوظيفة العامة لعبد القادر الشيخلي ، دار مجدلاوي للنشر – عمان الأردن ط/ أولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

– الأسس النظرية للاقتصاد الإسلامي د/ خالد بن سعد بن محمد المقرن ، السعودية ١٤٢٤ هـ .

– الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، مكتبة الكليات الأزهرية ط/ أولى ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

– تفسير ابن كثير دار زهران – القاهرة ، بدون تاريخ .

– الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، طبع دار الشعب – القاهرة ، بدون تاريخ .

– الحث على التجارة والصناعة والعمل لأبي بكر الخلال ، الرياض ١٤٠٧هـ .

– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني ، دار الكتاب العربي – بيروت ط/ رابعة ١٤٠٥ هـ .

– خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي مكتبة وهبة – القاهرة .

– سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للصنعاني محمد بن إسماعيل ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط/ رابعة ١٣٩٧هـ .

– الموافقات للشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي ، دار الكتب العلمية بيروت ط/ أولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

الفهـــرس

المقدمة ٩٥٩
المبحث الأول: العمل ٩٦١
١. مفهوم العمل في الإسلام ٩٦١
٢. أهمية العمل ٩٦٤
٣. دور العمل في تقدم الأمة ٩٧٢
٤. ضوابط العمل في الإسلام ٩٧٤
أ. أن يكون العمل مشروعا ٩٧٤
ب. ألا يكون العمل ممنوعـاً أو حراماً ٩٧٦

المبحث الثاني: جهة العمل ٩٨٠
أولاً: حسن اختيـار الشـخص المناسب للعمل ٩٨٠
ثانياً: تنمية الوعي الديني والمهـني لدى العامل ٩٨٣
ثالثاً: الحساب والمساءلة ٩٨٤
رابعاً: تناسب الأجر مع العمل ٩٨٥
خامساً: الكفالة والرعاية للعامل ٩٨٦
سادساً: الرحمة بالعامل والرفق به ٩٨٧
المبحث الثالث: العامل ٩٨٨
أخلاق العامل: ٩٨٨
١. الأمانة ٩٨٩
٢. الإخلاص ٩٩٠
٣. الصبر ٩٩١
٤. الإحسان ٩٩٢
الخاتمة ٩٩٣